النَّصُّ الأَوَّلُ: أَهَمِّيَةُ الدِّينِ فِي حَيَاةِ الْمُجْتَمَعِ وَالأَفْرَادِ

(الرومي، فهد بن عبد الرحمن بن سليمان، "منهج المدرسة العقلية الحديثة في التفسير" النسخة الثانية، جزأين في مجلد واحد من طباعة دار الرسالة_ الطبعة الرابعة لعام 1414 هـ الرياض)

الْمؤلف في سطور:

أ.د فهد بن عبد الرحمن بن سليمان الرومي، حصل على الابتدائية بالرياض عام 1383هـ. وعلى الثانوية من معهد الرياض العلمي عام 1389هـ. وتخرج في كلية الشريعة بالرياض عام 1393هـ. ودرجة الماجستير من كلية أصول الدين بالرياض عام 1400هت. ودرجة الدكتوراه من كلية أصول الدين بالرياض عام 1405هـ. بعد التخرج عين مدرساً في التعليم العام سنة 1394هـ، ثم موجهاً تربوياً في جهاز الوزارة عام 1397هـ، ثم مديراً للشؤون التعليمية عام 1398هـ،ثم مديراً للشؤون الفنية عام 1401هـ وبعد حصوله على (الدكتوراه) عين أستاذاً مساعداً عام 1405هـ،وتم تكليفه برئاسة قسم الدراسات القرآنية في الكلية وكلف أيضاً برئاسة قسم الدراسات الإسلامية وتمت ترقيته إلى درجة (أستاذ مشارك) عام1410هـ، ثم إلى درجة (أستاذ).

أَسْئِلَةٌ تَمْهِيدِيَّةٌ

1. هَلْ تَعْرِفُ لماذا أنزلَ اللهُ الدّينَ عَلى لِسانِ رُسُلِهِ لِلنّاسِ؟
2. هَلْ الدّينِ ضَروريٌ لِلحَيَاةِ الْمُجْتَمَعِ وَالأَفْرادِ؟
3. فِكْرَةَ التَّدَيُّنِ فِكْرَةٌ مَشاعَةٌ لَمْ تَخْلُ عَنْها أَيَّةُ أمةٍ مِنَ الأمَمِ.هل هذا صحيح؟
4. هَلْ تَعْرِفُ أَنَّ الْفَلاسِفَةَ اِحْتاروُا قَدِيما فِي تَحْدِيدِ الْخَيرِ وَالشَّرِ؟

النَّصُّ:

1. الدين هو شرع الله لإصلاح عباده، أنزله الله على لسان رسله لئلا يكون للناس على الله حجةٌ يومَ القيامةِ، وإصلاح العباد، هو إصلاحٌ لشأنهم وحياتهم في الدنيا والآخرة. حول هذا الموضوع سنتحدث إن شاء الله.

2. أَهَمِّيَةُ الدّينِ فِي حَيَاةِ الْمُجْتَمَعِ وَالأَفْرادِ الدينُ: وضعٌ إلهيٌ سائق لذوي العقول السليمة باختيارهم إلى الصلاح في الحال، والفلاح في المآل. أو هو: ما شرعه الله تعالى على لسان رسله من الأحكام الشرعية ليفوز العاملون بها بسعادة الدارين. هذا الدين ضروري لحياة الْمُجْتَمَعِ والأفراد على السَّواءِ. أما ضروريته بالنسبة للمجتمع فهي: إن الإنسان مدني بطبعه، أو هو حيَوانٌ اجتماعي لا يستطيع العيش إلا في المجتمع. ذلك أن له مطالبَ في معيشته لا يمكن أن يقوم بها بمنفرده؛ وهي احتياجه إلى لباسٍ يَقِيهِ الحرَّ والبردَ، وإلى مَأْكَلٍ ومَشرَبٍ يحفظُهُ عليه حياتَهُ، وإلى مَسْكَنٍ يُؤْوِيهِ من الوُحُوش ومن عَوَادِي الزمنِ. ولا يمكن للفرد أن يصنع كل هذه الأشياءِ لنفسه فاحتاج إلى مُشارَكةِ الآخَرين من بني جنسه في مجتمعٍ

ليقيمُوا بينهم الصنائعَ فيكونَ أحدهم نَسَّاجاً، والثاني حائكاً للثِّياب، والثالث نَجَّاراً، والرابع حَدَّاداً، والخامس بَنَّاءً إلى آخره، ثم يتبادلون نَتَاجَ صناعِهِمْ.

3. وهذه المعاوضة لو تركت للإنسان لطغى كُلُّ واحدٍ على حقِّ صاحبه واختَصَّ لنفسه بالنصيبِ الأَوْفَرِ، لأن الإنسان جُبِلَ على حب نفسه بل قد يدفعه حُبُّهُ لنفسه أَنْ يَطْغَى على حق أخيه فَيَسْلُبَهُ منه، أو بقتله لِيَسْتَوْلِيَ على ما في يده فَيَخْتَلُّ نظام المجتمع ويكثُرُ فيه الظلمُ والفسادُ فلابد من قانون يحفظ العدلَ بينهم ويجعل المبادَلةَ تَتِمُّ على نظامٍ عادلٍ يُحقِّقُ المِصلَحةَ للمجموع لا لفردٍ ولا لطائفةٍ مُعيَّنَةٍ. وهذا القانون لا يمكن أن يضعه فردٌ عادِيٌّ من أفراد المجتمع، لأن بَقِيَّةَ العقول لا تخضعُ لقانونه وإن حدث الخضوع يكون بالقوة لفترةٍ مَحدودَةٍ ثم يحدث النزاع من جديدٍ فلا يحدث الاستقرار المنشود إلا بأن يكونَ واضعُ القانون آتِيًا به من عند الله مؤَيَّداً بمعجزاتٍ تجعل جميع العقول تخضع له وتنقاد. هذا القانون هو الدين الذي يأتي به النبي من عند الله تعالى يُشَرِّعُ لهم ما يحقق لهم مَصالِحَهُم ويجعل الناس فيه سواسيةً أمام القانون. لابُدَّ أَنْ يُشَرَّعَ في هذا القانون ثَوَابٌ لِلْمُطِيعِ، وعِقابٌ لِلْعَاصِي لِتكونَ هناكَ رَغْبَةٌ فِي التِزَامِهِ ورَهْبَةٌ في مخالفته، وبهذا يتحقق العدل التَّامُّ بين أفراد المجتمع ويعيشون في هدوءٍ واستقرار، هذه هي الحاجة الضروريةُ إلى الدين بالنسبة إلى المجتمع.

4. أما بالنسبة إلى الأفراد: فكلُّ فردٍ من بني الإنسان يشعر شعوراً قويّاً مهما قوي عقله أو ضَعُفَتْ فِطْنَتُهُ أنه مغلوبٌ لقوةٍ أرفَعَ من قوته، وتشعر كل نفس أنها مَسْبوقَةٌ لمعرفة تلك القوة العظمى فتطلبها من حسها تارةً، ومن عقلها تارةً أخرى، وأنها قُدْرَةٌ واجِبِ الْوُجودِ، لكن تغمض عليه أسرارٌ كثيرةٌ من صفات واجب الوجود فَلَمْ يَسْلَمْ من الخطَأِ فيما يَعْتَقِدُهُ في شأن الله تعالى مشْملاً على العقائد والعبادات والمعاملات والأخلاقِ. فالدين عند جميع الأمم أولُ ما يمتزج بالقلوب ويرسخ في الأفئدة وتصطبغ النفوس بعقائده وما يتبعها من الملكات والعادات. فله السلطة على الأفكار وما يُطاوعها من العزائم و الإرادات، فهو سلطان الروح ومُرشِدُهَا إلى ما تدبر به بدنها.

5. ففكرةُ التَّدَيُّنِ فكرةٌ مَشَاعَةٌ لَمْ تَخْلُ عنها أمةٌ من الأمم في القديم والحديث. وإذا كانت هذه هي أهمية الدين بالنسبة إلى المجتمع والأفراد! فَلْنَنْظُرْ إلى دينٍ آخر الأديان وخَاتِمَهَا وهو الإسلامُ؛ كيف يربي المؤمنين به ليكونوا مواطنين صالحين، نافعين لأنفسهم ولمجتمعهم وللدنيا بأسْرِهَا. يقول العلامة ابن كثير: يمدح تعالى كتابه العزيز الذي أنزله على رسوله محمد ﷺ قَائِلاً: {إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ...} (17، سورة الإسراء، 9.) لأن هذا القرآن يهدي لأَقْوَمِ الطُّرُقِ وأوضَحِ السُّبُلِ في العقائد والعبادات وَالتَّشْرِيعِ والأخلاق، ويقوم على إيقاظِ العقول إلى ما في كيان الإنسانِ نَفْسِهِ من أدلةٍ على وجوده تعالى واتصافه

بصفات الكمال؛ ومن ذلك قوله تعالى أَيْضاً: {فَلْيَنْظُرِ الإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ. خُلِقَ مِنْ مَاءٍ دَافِقٍ. يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ. إِنَّهُ عَلَى رَجْعِهِ لَقَادِرٌ}(86، سورة الطارق،5_8) وقوله تعالى: {أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ مَا خَلَقَ اللهُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَمابَيْنَهُمَا إِلاَّ بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُسَمًّى} (30، سورة الروم، 8)

6. فهذه الأدلة (السماوية) في وضوحها وبساطتها تتخذ طريقاً إلى العقل والقلبِ معاً، وتكون النتيجة إيماناً لا ريب فيه كو جود الله تعالى، وقدرته، ووحدانيتة، وعلمه وإرادته، وإنه سيبعث الموتى يوم القيامة ويحاسبهم على ما قَدَّمُوا مِن أَعمالٍ في هذه الحياة. كما تفيد هذه الآية: {فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ۞وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرّاً يَرَهُ}(99، سورة الزلزلة،7-8) هذه الأدلة تُوَلِدُ الإيمان اليقينيَ بالله وملائكته وكتبه ورسله وباليوم الآخرة وبالقدر، وتكون النتيجة أن يستقيم المؤمن على الجادة وهذه هو أقوم الطرق في الاعتقاد.

7. وأما العبادات التي شُرِعَتْ في الإسلام واعتبرت من أركانه، كالصلاة والزكاة، والصوم، إلخ.. فهي تمارين متكررة لِتَعْوِيدِ المرءِ على أن يحيا بأخلاقٍ صحيحةٍ وأن يَظَلَّ متمسكاً بهذه الأخلاق مهما تغيرت أمامه الظروفُ. لأن كل عبادة لها غايتها الخاصة؛ فمثلاً الصلاة: تمنع المرءِ عن الفحشاء والمنكرات وتبعده عن المكاره. أُنْظُرْ إِلَى (29، سُورَةِ العنكبوت،45) والزكاة: ليست ضريبةً تؤخذ من الجيوب بل هي غوص لمشاعر الحنان والرأفة وتوطيدٌ لعلاقة المحبة والألفة بين الأفراد وتزكيةٌ للنفوس كما يقول سبحانه وتعالى: {خُذْ مِنْ أَمْوالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهاَ} (9، سورة التوبة، 103) وكذلك فرضُ الصومِ. أُنْظُرْ إِلَى (2 سُورَةِ البقرة، 183)؛ وليس القصدُ منه حرمانَ النفوس مؤقتا عن المأكل والمشرب وما شابه ذلك، بل القصد منه، تهذيبها وحرمانها دائماً من الشهوات المحظورة المكروهة. وكذلك الحج. أُنْظُرْ إِلَى (2 سُورَةِ البقرة،197). فالعبادات ثمرة الاعتقاد الصحيح وهي مدد للإيمان بالله، تُغَذِّيهِ وتُنَمِّيهِ، وسبيلٌ قَويٌّ تَنْفُذُ منه أَشِعَّةُ الهدى والنورُ إلى قلب المؤمن فَتُرِيَهُ الخيرَ خَيراً فيعمَلَهُ لنفسه ولغيره، وتُرِيَهُ الشَّرَّ شَرّاً فَيَعصِمَ منه نَفْسَهُ وغَيرَهُ، وبهذا يكون مصدرَ خَيْرٍ ونَفْعٍ لا شَرَّ فيهِ ولا ضَرَرَ. لا لأنَّ كل ما في القرآن يدعو إلى الأخلاق الفاضلة وينهى عن الأخلاق الذميمة، وقديماً احتار الفلاسفة في تحديد الخيرِ والشرِ، ولكنَّ القرآنَ حَدَّدَ هُما بأنَّ كلَّ ما أمر اللهُ تعالى به فهو خيرٌ وجميلٌ، وكلَّ ما نهى عنه فهو شَرٌّ وقَبِيحٌ ويكفينا أن نقرأ هذه الآية الكريمة: {إِنَّ اللهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ} (16 سورة النحل، 90).

8. فالإحسان: كلمة جامعة لخير كثيرٍ؛ كالإحسان في العمل، في العبادة، والإحسان إلى النفس، إلى الأسرة، إلى الجيران، إلى المسلمين وغير المسلمين. والفحشاء: وهي كلمة

جامعة لكلِ اِعْتِداءٍ على الأعراضِ، والأموال، والأنفسِ. والمنكر: كلُّ ما تُنكره الفطرةُ السليمةُ. فالله سبحانه و تعالى يأمر بكل ما هو خيرٌ ونبيلٌ، وينهى عن كلِّ ما هو شَرٌّ وقبيحٌ. فمن أهداف الإسلام تزكية النفوسِ وتطهيرها من الخبائث، ومن جميع أنواع الكَذِبِ والغِشِّ . فنجد أن هذه الآية الصغيرة جمعت أصول الفضائل التي أمر الله تعالى بها وأصول الرذائلِ التي ينهى الله عنها، ونرى أن القرآن يعتني بتربية الضميرِ وتنقية السرائرِ من الحِقدِ، والغش والنفاق، والمكر والخِداعِ وسوء الظن بالناس بدون سبب. لأنه لا يمكن أن يكون ضميرُ الإنسان حيّاً يقظاً والسريرةُ نقيةً إلا بالخوف من الله تعالى بغرس العقيدة الصحيحة في النفس وتربيتها على الأخلاق الإسلامية.

(بِتَصَرُّفٍ مِنْ منهج المدرسة العقلية الحديثة في التفسير. النسخة الثانية جزأين في مجلد واحد من طباعة دار الرسالة_ الطبعة الرابعة لعام 1414 هـ الرياض)

المفردات:

سائِقٌ (سَ وَ قَ) götüren, ileten, sevk eden

اَلْمَآلُ يَؤل (أ و ل) Gelecek

مَا شَرَعَهُ: koyduğu yasalar

يُؤْوِيهِ (أ و ي) koruyan/barındıracak

اَلْوُحُوشُ(و ح ش) canavarlar

عَوادِيَ الزَّمَنِ (ع و د) Zamanın getirdikleri

نَسّاجاً(ن س ج) örmeci- dokumacı

حائِكاً لِلثِّيابِ(ح ك ي):terzi

نَجّاراً(ن ج ر) marangoz

حَدّاداً: (ح د د) demirci

بَنّاءً(ب ن ي) duvar ustası

المعاوضة (ع و ض): fırsat

لَطَغَى(ط غ ي/و) Taşkınlık yaptı- saldırdı

اَلنَّصِيبُ الأَوْفَرُ(و ف ر): en büyük pay

جُبِلَ: yaratıldı

يَدْفَعُهُ: (د ف ع) iter- götürür

لِيَسْتَوْلِيَ على ما في يده(و ل ي): elindekine el koymak için

يَخْتَلُّ(خ ل ل):bozar

لا تَخْضَعُ لِقانُونِهِ(خ ض ع):kanununa boyun eğmez